بحوث اسلامية هامة

٩

ماذا حول أمية الرسول

صلى الله عليه وسلم

علي الشواخ اسحق

دار السلام

بحوث اسلامية هامة

٩



علي شواخ إسحق

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ص ب ١٢٥٣٣٧ حلب ص ب ١٨٩٢

الطبعة الاولى

١٣٩٨ هـ
١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

« سورة الأعراف : ١٥٧ »



تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله ،
أما بعد : فإننا نعمل في هذه الرسالة على إسقاط فكرة خطيرة ، وإذا هي قامت اليوم ببعض أتباع الملحدين من أبناء جلدتنا ، فقد سبقهم اليها أساتذتهم من المستشرقين ، ونحن نرد عليهم جميعاً ـ بعون الله ـ من نعرف ومن لا نعرف .

وقد علمنا أن الفكرة لا تسمّى بأسماء الناس ، وما دام موقعها في النفس لا يتغير فإن الزمن لا يؤثر فيها ، وما أحسب المغرضين اليوم يستطيعون بكل ما يملكون ، مقاومة العلم والحقيقة الأزلية المطلقة ، ومع هذا فليس أصعب من تحقيق البدهيات .

نزعنا في رسالتنا الى منحى يتناول معنى اللفظة التي يبنى عليها البحث :

أ ـ في اللغة ومعاجمها .
ب ـ في القرآن الكريم .
ج ـ في الأحاديث الشريفة .

ثم خلصنا الى الحكمة من بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أمياً . وإنني أتبرأ ان أجعل هذه الرسالة رداً على مقالة عرجاء في صحيفة مقعدة ، او أن أصفع بها صفحة من كفر ، فتلك وهؤلاء أهون عـــلى الله من ذبابة قاضي البصرة . وما كان لقشة أن تقتلع جبلاً من مكانه ، فتبصّر رحمك الله .

الرقة 9 رمضان ١٣٩٨ هـ
١٣ آب ١٩٧٨ م

علي شواخ اسحق

★ ★ ★

أسباب نفي الأمية عنه ﷺ

صلى الله عليه وسلم .



ما زال الصراع الفكري حول التراث قائماً ، يختفي أحياناً ، ثم يعود فيأخذ شكلاً جديداً . وأحد أشكاله التي ظهرت أخيراً ، تنفي أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه مركبة جديدة في قطار طويل من الهجمات المستمرة على الاسلام تارة ، وعلى رسوله الكريم تارة أخرى .

وأصل الفكرة عندهم يدور حول كلمة (أمي) فهم يطالبون بإعادة النظر في هذه الكلمة ، محرفين الكلم عن مواضعه ، متلاعبين بالألفاظ ، محاولين حجب الشمس بغربال حقدهم ، مؤمنين بأنه صلى الله عليه وسلم (أمي) في قلوبهم، ولكنهم يحاولون تغطية الحقيقة ، متوصلين من وراء ذلك الى إلغاء فكرة الرسالة السماوية عند الرسول صلى الله عليه وسلم كهدف بعيد ، وإذا نُقضت عرى الأمية عند النبي الكريم ، كان بإمكانهم ـ على قصور ظنهم وخبثه ـ نقض نبوته ونسبة كل ما جاء به الى عبقرية بشرية عجيبة ، وقدرة فكرية هائلة .

ويتساءلون : أحقاً كان الرسول أمياً ، أم تراه كان متعلماً ؟ ويدعون أن الهدف من هذا إعادة النظر في التاريخ ، بدعوى أن التحليل الغيبي يعمل لإلغاء عقل الانسان ، فبحث بعضهم ــ بوحي من أعداء هذا الدين ــ هذا الموضوع ، وخرج بنتيجة مفادها نفي الأمية عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد استند في دعواه على ما يلي :

أولاً : على تفسير كلمة الأمي ــ كما ذكرنا ــ وقال بأنها تعني عدة احتمالات ، وهي :

١ ــ الأمي : بمعنى الجاهل .

٢ ــ الأمي : بمعنى المشرك أو الوثني .

٣ ــ الأمي : نسبة الى أم القرى . وهي مكة .

٤ ــ الأمي : نسبة الى الأمة . كما تقول : عامي نسبة الى العامة .

٥ ــ الأمي : من لا يقرأ ولا يكتب ، (ولم يأخذ

بها) . فتبصّر أيها القارىء الكريم كيف يتلاعب أعداء الاسلام بالحقائق العلمية ، ويجعلون من الباطل حقاً بظنهم القاصر .

ثانياً : استناداً على أحاديث جاءت في كتب السيرة ، أو في كتب الحديث :

١ ـ ما جاء في السيرة لابن هشام « فبينا رسول الله يكتب الكتاب هو وسهيل »[1] .

٢ ـ ما جاء في البخاري « وأخذ رسول الله الكتاب ليكتب . فكتب هذا ما قاضى عليه محمد » .

٣ ـ حديث يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما اشتد وجعه ، قال : ائتوني بالدواة والكتب أكتب لكم لا تقبلون معه بعدي أبداً » .

وفي رواية أخرى ، ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم دعا في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم

---

(١) سهيل بن عمرو مندوب المشركين في صلح الحديبية .

الخليفة بيده • ويخرج بنتيجة أن هذه أدلة صريحة على قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على القراءة والكتابة •

كل هذا الجهد الشيطاني ، يهدف الى طمس نبوة الرسول ، وإلغاء سماوية الرسالة الإسلامية ، ونسبها الى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) •

من هنا كان لزاما علينا أن نبحث في هذا الموضوع الذي لم يخصص له الأقدمون بحثاً مستقلا • وما ذلك إلا كون أمية الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر لايختلف فيه اثنان ، مع إقرار المشركين من قريش ، ويهود المدينة بذلك • وكذا الأمر بالنسبة للمستشرقين المنصفين منهم وغير المنصفين ، لم يخصصوا بحثاً في هذه المسألة • وهذا على حد علمنا وما وصلت إليه يدنا ، وأما غير هذا فنحن غير ملومين•

إن هؤلاء الملحدين المشككين في أمية الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتحدثون عن الفكر المثالي الذي عالج

---

(١) احترزت من قول : لم يبحثوا في أمية الرسول ، لأن المفسرين تعرضوا لهذا كثيراً •

موضوع أمية الرسول من منظار العيب ، ويتحدثون عن إمكانية التقدم في ظل هذا الفكر الذي يدّعي أمية النبي (صلى الله عليه وسلم هكذا يقولون ! ••••

ولا بد من القول لأولئك الذين يوجهون حقدهم على التراث ـ ويدّعون اهتمامهم به ! •• ثم يرشقونه بسهام الجهالة بدعوى التفسير المادي للتاريخ ـ أن كل مايفعلونه سبقهم إليه الدهريون من الناس • وقامت معركة فكرية ، تجلت عن ثبات الحق ، وبقاء الصحيح ، وبطلان الزيف وزواله ، وأن الحق منتصر بنفسه •

ولكن الفرق بين هجمة الماضي وهجمة الحاضر ، هو أن هجمة الحاضر أشرس وأقوى بفعل عدة عوامل ، أهم مافيها سيطرة هؤلاء الناس على وسائل الإعلام ، وأن التراث ليس له من يدافع عنه ، أو يكشف عـن معدنه الثمين • بالإضافة إلى طرق علم النفس التي طوعتها هـذه الهجمة لأغراضها العدوانية ، حتى أصبح كل من يحاول الدفاع عن التراث ، يخشى أن يتهم بالرجعية فيفضل السكوت خوفاً وضعفاً •

ولعلّ هذا سر انتشار مثل هذه التفصيلات والمسميات التي بدأت بشكل واضح منذ بداية الستينات يغزو الفكر العربي والفكر الإسلامي • ولكن هذه ضلالة أخرى ، وباطل واضح ، ليس أوانها هنا •

فقولهم : الإسلام مثالي : إنما هي دعوة لإبعاده عن دنيا الواقع • لقد قامت للمسلمين دولة عظيمة ، وقامت لهم حضارة مديدة ، هي أشهر من أية حضارة أخرى في التاريخ وما ذاك إلا بفضل هذا الدين الذي يؤمن به رجال غيبيون.

وفي العصر الحديث ، قامت عدة ثورات على أكتاف رجال من هذا النوع مؤمنين بالإسلام وبالله غيباً ، وكلكم يذكر ثورة السنوسيين ، وثورة عبد الحميد بن باديس في الجزائر ، والثورات الاسلامية أكثر من أن تحصى •

ومرة أخرى يجب أن نعرف هدفهم من القول عن الاسلام أنه مثالي ، ما هي إلا خديعة يريدون من ورائها أن يقولوا : إن الاسلام غير واقعي ، ولا يمكن الحدوث في دنيا الحاضر •

ونخلص الى القول بأن الغاية من وصم الاسلام بالمثالية ردف لغاية نفي أمية الرسول . كما أن محاولة نفي الأمية عن الرسول صلى الله عليه وسلم تلتقي بهدفها مع الفكرة الأولى • نقطتان متتابعتان الأولى : ادعاء مثالية الاسلام ، وعدم قدرته معالجة الواقع • والثانية : نفي الأمية عن النبي ليتوصلوا الى هدفهم تثبيت بشرية الرسالة ، ومن ثم إلغاء هذا الدين كله . من أساس فكرته العلوية الجليلة ، فانظر الى مكر الماكرين ، ولا تنخدع واتبع الحق الواضح المبين •

إن الإجابة عن السؤال المطروح حول أمية الرسول ، مرتبطة بوجه أو بآخر بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم• فالرسول لم يكن ليدّعي أنه أمي لو لم يكن كذلك ، وهذا واضح مستنتج من شخصيته الفذة النادرة ، العظيمة في جميع مناحيها : الخلقية ، والفكرية ، والنفسية ، وكذلك فقد كان معروفاً بالأمانة حتى لقب بها ، وعرف صلى الله عليه وسلم بالقناعة ، وبالشجاعة ، وبالتواضع ، وبالاخلاص لله ولعباده في كل شيء ، وعرف صلى الله عليه وسلم بالعفو عند المقدرة، وبالفصاحة والرحمة، وحسن الدراية والسياسة والحكمة في تصريف أمور الدين ، والاطلاع العجيب في

أمور الدنيا ، والفكر التربوي العظيم ، في جميع مناحي الحياة •

كل هذه المناحي كانت لها تأثيرات متباينة في المجتمعات قديمها وحديثها •

فالمؤمنون، والمنصفون رأوا في هذه الشخصية العظيمة رسولا من قبل الله . بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وله عناية ورعاية من قبل الله خاصة •

والمشركون ومن سار في حوضهم المسنون ، رأوا مسّاً أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم . فجادلوه ، وناصبوه العداء ، ووجهوا إليه كل أنواع التهم . ولكن لم يذكروا قط أنه متعلم يقرأ ويكتب •

والمستشرقون اليوم قسمان : بعضهم منصف معتدل ، آمن أن محمداً نبي مرسل تنزّل عليه جبريل ، كما كانت الأنبياء قبله . مع اعتقادهم وإيمانهم بأنه أمي ، منهم الأستاذ (أدوار مونتيه) الذي كتب في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن ما ترجمته بالعربية :

« كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بني اسرائيل في القديم كان مثلهم يؤتى رؤيا . ويوحى اليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجـود الألوهية متسكنتـين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه . فتَحْدِثُ فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسي ، وهذا التضامن في الشخصية ، اللـذين يحـدثان في العقل البشري المرائي والتجليات والوحي والأحوال الروحية التي من بابها » .

وبعضهم بعيد عن الإنصاف والصدق يحمل الإثم ، ويلتقط القش ليبني منه بيتاً ، فتأتي أخف الرياح فتذروه وتتركه ، كمثل بيت العنكبوت .

وعلى تعداد جوانب شخصية الرسول صلى الله عليـه وسلم فإن هذه الرسالة الصغيرة لا تبحث إلا في جانب واحد من جوانب شخصيته الكريمة ، جانب التعلم عنده ، ونعود فنتساءل : هل كان الرسول أمياً حقاً ؟

نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم أمياً لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، كما أن قومه الـذين نشأ فيهم كانوا أميـين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الأمم ، وعلوم التشريع

والفلسفة والأدب حتى أن مكة ــ عاصمة بلادهم وقاعدة دينهم . ومثوى كبائرهم ورؤسائهم . ومثابة الشعوب والقبائل للحج والتجارة فيها . والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة في أسواقها التابعة لها ، لم يكن يوجد فيها مدرسة ولا كتاب مدون قط ، فما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين التام الكامل والشرع العام العادل ، لا يمكن أن يكون مكتسباً ولا أن يكون مستنبطاً بعقله وفكره .

وقد أقرّ (درمنغام) أن أبا طالب حين كفل محمداً صلى الله عليه وسلم بعد وفاة جده ، لم يكن غنياً فلم يتح له تعليم الصبي الذي بقي أمياً طوال حياته .

ثم إن عدد الكتاب الذين يعرفون القراءة والكتابة كان محصوراً ومعروفاً بالاسم . ولا ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم بينهم .

ولو كان الرسول اختلف في طفولته أو شبابه الى كتّاب في مكة لعُرف هذا عنه ، ولقاله هو ، وهو الصادق الأمين . ولكن الذي اختلف اليه وزاوله إذ هو صغير رعي الغنم ، وهو القائل بهذا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم » فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » .

وعمله في التجارة معروف محفوظ ، وخلاصة القول : أن سيرة حياتــه صلى الله عليه وسلم قبــل النبوة معروفة محفوظه لمكانته في قريش . ولعظيم أخلاقه ، وكبير صفاته ، وحسن سيرته ، ومعاملته للناس ، فكان معروفاً من قبلهم جميعاً في كل مايأتيه من عمل، تعرف عنه كل صغيرة وكبيرة. ثم إن الصورة التعليمية في مكة واضحة تماماً . ولم يكن شيء ليخفى على الناس ، وعلى الدارسين والمستشرقين خاصة الذين يهمهم أن يبحثوا في كل أمر من أمور الرسول عليه الصلاة والسلام . حتى باتت سيرة حياته حديث الأنام منذ أن أرسله الله وحتى الساعة ، وكل من كتب السيرة ، أو قرأ سيرة لم يقف على نص منقول يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تعلم أو قصد الكتّاب للغرض ذاته ، فكأن الله سبحانه وتعالى صرفه عن هذا الأمر وهو يعلم من شأنه ما سيكون عليه .



تفسير كلمة .... الأُمّيّ

- في المَعاجم اللغويّة .
- في القران الكريم .



آ ـ في المعاجم اللغوية

غني" عن القول أن المعـاجم اللغويـة هي الأساس الأول والاخير في فهم المعاني التي تحملها المفردات الصعبة • وهي الحكم حين نختلف حول كلمة ما ، نهرع إليها فتحكم بيننا •

إن الاهتمام بمدلول كلمة(أمي) هو صيانة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم واهتمام بشأنه • والمعوّل عليه في هذا الجانب المعجمات الكبيرة وهي المراجع الرئيسية ، ونحن لا نستطيع فهم فكرة ما إن كنا نجهل معاني ألفاظها ، التي تستخدم في التعبير عنها • وقد اعتمدنا لسان العرب ، وتاج العروس ، والقاموس المحيط في فهم ما تحويه هذه اللفظة من معان •

أولاً : في لسان العرب : « مادة أمي » •

الأمي : الذي لا يكتب . قال الزجاج : الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته . وفي التنزيل العزيز: « ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني» قال أبو اسحق : معنى الأمي المنسوب الى ما عليه جبلة أمّة أي لا يكتب . فهو في أنه لا يكتب أمي ، لأن الكتابة مكتسبة فكأنه نسب الى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه . وكانت الكتّاب في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار. وفي الحديث : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » .

أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتاب والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى ، وفي الحديث : « بعثت الى أمة أمية » .

قيل للعرب الأميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ومنه قوله تعالى :

« بعث في الأميين رسولاً منهم » ... وقيل لسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً وهو

لا يكتب ولا يقرأ من كتاب . وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه صلى الله عليه وسلم تلا عليهم كتاب الله منظوما . تارة بعد أخرى . بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه . وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها . زاد فيها ونقص . فحفظه الله عز وجل على نبيه كما أنزله . وأبانه من سائر من بعثه اليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها . ففي ذلك أنزل الله تعالى« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ... » .

ولقالوا إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب .



هذا ما جاء في لسان العربحول مادة (أمي) والملاحظ أنه يقرّ بما لا يدع مجالاً لأدنى شك أمية الرسول ، من خلال ما جاء في لغة العرب .

وحمّل المادة عدة معان ، أمي نسبة لأمة العرب التي

لم تكن تكتب وتقرأ • وأمي نسبة الى أصل ولادتهم عن أمهم • وأمي نسبة الى عدم القراءة والكتابة . وكل هــذه المعاني تخدم غرضاً واحداً . وتظهــره وهو آمية الرسول فتثبت أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب •

ثانياً : في القاموس المحيط « مادة أمي »

الأمي والأمّان من لا يكتب أو من على خِلْقَة الامة لم يتعلم الكتاب وهو باق على جبلته ؟

★ ★ ★

ثالثاً : في تاج العروس « مادة أمي » •

الأمي والأمّان بضمهما من لا يكتب أو من على خلقة الامة لم يتعلم الكتاب . وهو باق على جبلته •

وفي الحديث : « إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب • أراد أنه على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى • وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب،

وبعثه الله رسولا . وهو لا يكتب ولا يقـرأ من كتاب . وكانت هذه الخلّة إحدى آياته المعجزة لأنه صلى الله عليه وسلم تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه . فلم يغيره ولم يبدل بألفا ظه ففيه أنزل تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون .. » .

وقال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الرافعي : إن مما حُرّم عليه صلى الله عليه وسلم الخط والشعر ، وإنما يتجه التحريم إن قلنا إنه كان يحسنهما والأصح أنه كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه ، وادعى بعضهم أنه صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها لقوله تعالى : « .. من قبله » الآية الكريمة . فإن معرفته بسبب الإعجاز . فلما اشتهر الاسلام وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة .

وقد روى ابن أبي شيبة وغيره : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ »(١) . وذكره مجالد

---

(١) حديث موضوع سيرد ذكره .

للشعبي فقال : ليس في الآية ما ينافيه . قال ابن دحية واليه ذهب أبو ذر ، وأبو الفتح النيسابوري والباجي وصنّف فيه(٢) كتاباً • ووافقه عليه علماء إفريقية وصقلية . وقالوا : إن معرفة الكتابة بعد أميته لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة أخرى بعد معرفة أميته . وتحقق معجزته . وعليه تتنزل الآية السابقة ، والحديث ، فإن معرفته من غير تقدم تعليم معجزة•

وصنف أبو محمد بن معوز كتاباً فيه رد على الباجي ، وبين فيه خطأه . وقال بعضهم : يحتمل أن يراد أنه كتب مع عدم علمه بالكتابة ، وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم أميون . والى هـذا ذهب القاضي أبو جعفر السمناني والله أعلم •

★ ★ ★

هذا ما جاء في تاج العروس وقد طرق المعاني السابقة ، وجاء بشيء جديد . نبه فيه الى أن أبا الوليد الباجي وهو

(٢) لسنا نعرف شيئا عن هذا الكتـاب . ولا عن كتاب محمد ابن معوز •

فقيه أندلسي . وأبا ذر الغفاري . وأبا الفتح . والنيسابوري ذهبوا الى إقرار تعلم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن بعد أن شهر الاسلام وأمن الارتياب•وفيه أيضاً أن أبا محمد ابن معوز رد عليهم في كتاب صنفه لهذا الغرض • والحق أن هؤلاء ذهبوا الى رأيهم اعتماداً على عدة أحاديث ، سوف نستعرضها بعد قليل ونبين أنها موضوعة ولا أصل لها •

ونحن لا نعرف شيئاً عن هذين الكتابين ، ولكن الذي ذهب اليه أبو الوليد الباجي يبقى محصوراً في أنه تعلم بعد أن اشتهر الاسلام وعلى هذا فإنه يقر بأميته في أول الرسالة ، ومع ذلك تقوله باطل ولعل الواقع الذي جعله يذهب الى هذا يكمن في أمرين :

الأول :

فهمه للآية الكريمة « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون •• » •

فقد فهم منها أن الرسول كان أمياً قبل أن ينزل عليه الوحي . وبعد هذا تعلم الكتابة • على حين أن المفسرين

مجمعون على تفسير الآية الكريمة كما جاء في ظلال القرآن .. »(١) .

تتحدث الآيات السابقة عن إيمان بعض أهل الكتاب ، بهذا الكتاب الأخير (القرآن) على حين يكفر به المشركون الذين أنزل الله الكتاب على نبيهم . غير مقدّرين لهذه المنّة الضخمة ولا مكتفين بهذا الفضل المتمثل في تنزيل الكتاب على رسول منهم يخاطبهم فيه ، ولم يكن يتلو من قبل كتاباً ولا يخطه بيمينه . فتكون هناك أدنى شبهة في أنه عمله ومن تأليفه ... فرسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بينهم فترة طويلة من حياته ، لا يقرأ ولا يكتب . ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يعجز القارئين الكاتبين . وربما كانت تكون لهم شبهة لو أنه كان من قبل قارئاً كاتباً فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم » .

الثاني :

حديث ابن أبي شيبة وغيره : « مامات رسول الله

---

(١) ج ٦ . ص ٤١٩ . الطبعة الخامسة .

صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ • وهذا حديث موضوع وسيرد الحديث عنه في بابه •

ونتساءل : هل هناك معان أخرى لكلمة (أمي) في الحق هناك • ففي المصدرين السابقين و (الأمي) أيضاً العيي الجلف الجافي القليل الكلام •

وفي دائرة المعارف الاسلامية : (الأمي) مأخوذ عن اليهود الذين كانوا يطلقون لفظة (أمت) و (أميم) على غيرهم فإن قال قائل : (الأمية) مأخوذة من (أميم) و (أمت) وتعني غير اليهود من الوثنيين •

قلنا هذا في لغة اليهود الذين يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن ما عداهم مشركون وثنيون •

ويصبح أعجب تفسير لكلمة (أمي) ما عنته الدائرة فيصبح معنى الآية الكريمة « ••• يتبعون الرسول النبي الأمي •• » النبي المشرك ، أو الوثني ، وحاشاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم حاشاه سيد الموحّدين ،

وهـذا أغرب وأعجب سمّ ينفثه أعـداء الاسلام ، وأعداء رسوله .

والدائرة تعرف بطلان قولها الأول لذا فإنها تقول رأياً آخر للمستشرق « بول » : (أمي) معناها[1] الذي لا يكتب ولا يقرأ . وهي في اليونانية (لايكوس) وليس معناها الوثني .

وفي مقطع آخر ترى الدائرة أنه من الصعب أن نقول : إن كلمة أمي معناها الـذي لا يكتب ولا يقرأ ، وتقول : « إن اعتراض بول على تسمية محمد نفسه ـ لعنهم الله فمحمد لم يطلق على نفسه اسماً ـ لم يأت بشيء من عنده ـ النبي الأمي بمعنى الوثني يفقد قيمته إذا عرفنا أن محمداً ربما لم يكن على بينة مما تدل عليه كلمة أمي عند اليهود .

وهذا الرأي مدفوع بالأدلة العقلية التي يتحاشاها أعداء الاسلام ، وذلك بدليلين :

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ج٤ ، ص ٤٢٦ . النسخة العربية طبعة دار الشعب بمصر .

الأول :

أننا لا نقبل تفسير اللغة العربية من غير العرب ، وأننا نأخذها من مصادرها ومناهلها الرئيسية التي وجدت لها ، وقد أخذناها من القواميس ،وليس ـ أيها القارىء الكريم ـ يوجد أقل أدباً من أناس يفسرون غير لغتهم حملاً على لغة غيرها ، ومن أناس يفسرون لك لغة تعرفها ومصطلحاً عليها .

تصور معي أن مئة دائرة معارف قالت عن القمر بأن معناه رغيف الخبز لأنه مدور ، أو هكذا جاء في لغة اليونان فهل كنا نترك لفظة قمر ونسميه خبزاً ، ألا يبعث مثل هذا على الضحك ؟!..

ونحن لا نمنع أن يفسر غير العرب لغة العرب ، لكن يشترط لهذا التفسير أن يكون من لغة العرب للغة العرب بالدليل والبرهان الحجة بالحجة ، ويزيد شاهده من الشعر الجاهلي ، والاسلامي شاهد يثبت أن كلمة (الأمي) جاءت عند العرب بمعنى الوثني ، ولا دليل عند الدائرة ولا شاهد إلا معناها عند اليهود ، ونحن لسنا محمولين على أخذها

من غير مناهلها ومصادرها . وإذا كان سلطان المكر اليهودي قد تسرّب الى الدائرة المذكورة فليس له أن يتسرب إلينا •

الثاني :

يبدو أن الدائرة نسيت ما تحدثت عنه من النسخ في القرآن • فالآية الكريمة ، ربما نسخها الله جلت حكمته بآية أخرى لغاية تربوية أو أخرى كما في الآيات التي نزلت بشأن الخمرة • وعلى رأيها كان لا بد أن تنسخ هده الآية بعد انتقال الرسول الى المدينة ومعرفته لمعناها عند اليهود ، فإذا عرف أنها تعني الوثني ، أليس من الواجب نسخها بأخرى غيرها ؟ سبحانك ربي ، وأستغفرك ، أقول هذا على مبدأ ناقل الكفر ليس بكافر •

ويبقى القرآن أولاً وأخيراً كلام الله المتعالي الذي لا يفسر إلا بلغة العرب • وأهل مكة أدرى بشعابها •

أقوال أخرى في كلمة (أمي) :

ربما قال قائل : الأمي نسبة الى الأمة ، كما يقال عامي نسبة الى العامة •

قلنا : مرّ ذكر هذا في تاج العروس ، وهو لا يشذ عن المعنى المقصود « عدم القراءة والكتابة » . والمقصود بها : أنه على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة فهم على جبلتهم . والأمي المفرد من كان على خلقة الأمة وهي لا تقرأ ولا تكتب فهو مثلها لا يقرأ ولا يكتب .

وإن قال قائل : الأمي نسبة الى أم القرى — وهي مكة — . قلنا : هذا رأي لم يقل به إلا النحاس كما ذكره القرطبي في تفسير سورة الأعراف . والرد عليه من جانبين أيضاً .

الأول :

أقصى ما نصل اليه بقول النحاس والقرطبي أن نقول : ليس في الآيتين الكريمتين اللتين تتحدثان عن الأميين أو غيرهما دليل على أنه يقرأ ويكتب . وإذا قصد القائل إثبات أن الأمي نسبة الى أم القرى فقط ، قلنا : هو غير صحيح لغوياً . فالنسبة في الاسم المركب تكون الى المضاف إليه ولا تكون الى المضاف وعليه حسب رأي القائل تصير النسبة الى

مكة أم القرى • (قُرَوي) بضم القاف لأنها (قُرى) بضم القاف أيضاً يعني جمعاً وهذا يذكرنا بأم الدماغ ، وهي جليدة رقيقة تحيط بالدماغ . قلنا وإذاً فالنسبة غير صحيحة فقد ينسب الى الدماغ كذلك ••• فيختلط بأم القرى !••• ولا أغرب من هذا ولا أعجب !•••

الثاني :

الذي يقطـع في المسألة عادة سياق النص • فالنسبة المعروفة لأحد المكيين الذين ينتسون الى أم القرى وقبـل إسلامها (مشرك) ثم إحدى الآيات ذكرت كلمة (الأميين) وتقصد بهم اليهـود وهي قوله تعـالى : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون » • فالآيات هنا تتحدث عن بني اسرائيل ، وهم ليسوا من أهل مكة ، يعني من أهل أم القرى لينسبوا اليها •

وخلاصة هـذه المسألة أيضاً أنهـا تعني من لا يقرأ ولا يكتب بعد أن بطل كون الأميين نسبة الى أم القرى ، وكل هذا تحت ظلال اللغة والنصوص العقلية والنقلية •

ب ـ في القرآن الكريم

مجموع ما جاءت فيه كلمة (أمي) في القرآن الكريم ست آيات كريمات . نستعرضها وتفسيرها فيما يلي :

الأولى :

قال الله تعالى في سورة الأعراف « الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

« آية ١٥٧ »

الثانية :

من السورة ذاتها « قل : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض ، لا إله إلا

هو يحيي ويميت . فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » .

« آية ١٥٨ »

في الآية الأولى نبأ عظيم يشهد بأن بني اسرائيل قد جاءهم اليقين بالنبي الأمي ، على يدي نبيهم موسى ، ونبيهم عيسى — عليهما السلام — منذ أمد بعيد .

جاءهم الخبر اليقين ببعثته ، وبصفاته، وبمنهج رسالته، وبخصائص ملته ، فهو (النبي الأمي) .

وفي الآية الثانية يوجه الخطاب الى النبي الأمي صلى الله عليه وسلم يأمره بإعلان الدعوة الى الناس جميعاً ... وهي الرسالة الأخيرة . ومن ثمَّ حملها النبي الأمي الذي لم يدخل على فطرته الصافية — كما خرجت من يد الله — إلا تعليم الله . فلم تشب هذه الفطرة شائبة من تعليم الأرض ومن أفكار الناس ! ليحمل رسالة الفطرة الى فطرة الناس جميعاً .

الثالثة :

قال تعالى في سورة آل عمران « ••• وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟••• » •

« بعض الآية ١٨ »

جاءت اللفظة هنا بصيغتها الجماعية (الأميين) •

تساوي الآية بين المشركين وأهل الكتاب ، فالأميون هنا العرب المشركون الذين لا يجيدون قراءة ولا كتابة فهم وأهل الكتاب سواء مدعوون الى الاسلام •

الرابعة :

قال تعالى في سورة الأعراف « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك أنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » •

« آية ٧٣ »

منهم (من أهل الكتاب) أمناء ومنهم خونة طامعون مماطلون لا يردون حقاً وإن صغر إلا بالمطالبة والإلحاح والملازمة ثم هم يفلسفون هذا الخُلُقَ الذميم ، بالكذب على الله عن علم وقصد وهذه صفتهم بالذات ، صفة اليهود الذين يجعلون للأخلاق مقاييس متعددة ، فالأمانة بين اليهودي واليهودي • أما غير اليهود ويسمونهم الأميين وكانوا يعنون بهم العرب (وهم في الحقيقة يعنون كل من سوى اليهود) فلا حرج على اليهودي في أكل أموالهم وغشهم وخداعهم ، والتدليس عليهم واستغلالهم بلا تحرج من وسيلة خسيسة ولا فعل ذميم •

ويلاحظ أن هذه هي المرة الثانية التي تأتي بها اللفظة بالصيغة الجماعية •

الخامسة :

قال تعالى في سورة الجمعة ـ وهي مدنية ـ :

« هو الذي أرسل في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم

آياته ويزكيه ويعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » •

« آية ٢ »

ظلال القرآن : قيل إن العرب سموا الأميين لأنهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون ــ في الأعم الأغلب ــ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه وقال : « إنا نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب »(١) ••• وقيل : إنما سُمِّي من لا يكتب أمياً لأنه نسب إلى حال ولادته من الأم ، لان الكتابة إنما تكون بالاستفادة والتعلم » •

وربما سموا كذلك كما كان اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم : « جوييم » باللغة العبرية أي أمميون • نسبة الى الأمم ــ بوصفهم شعب الله المختار وغيرهم هم الأمم ــ والنسبة في العربية الى الفرد •• أمة •• أميون • وربما كان هذا أقرب بالنسبة الى موضوع السورة • ولقد كان اليهود

---

(١) ذكره الامام الجصاص صاحب أحكام القرآن بغير إسناد •

ينتظرون مبعث الرسول الأخير منهم ، فيجمعهم بعد فرقة ، وينصرهم بعد هزيمة ، ويعزّهم بعد ذلة. وكانوا يستفتحون بهذا على العرب ، أي يطلبون الفتح بذلك النبي الأخير .

ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون هـذا النبي من العرب ، من الأميين غير اليهود ، فقد علم الله أن يهود قد فرغ عنصرها من مؤهـلات القيـادة الجـديدة الكاملة للبشرية .. » .

السادسة :

قال الله تعالى في سورة البقرة ـ وهي مدنية ـ في وصف اليهود : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون » .

« آية ٧٨ »

ظلال القرآن :

« تحدثت الآيات التي قبلهـا عن بني اسرائيل ، ثم يستطرد النص القرآني فيقص على المسلمين من أحوال بني

أسرائيل : إنهم فريقان فريق أمي جاهل . لا يدري شيئاً من كتابهم الذي نزل عليهم ولا يعرف منه إلا أوهاماً وظنوناً، وإلا أماني في النجاة من العذاب بما أنهم شعب الله المختار ، المغفور له كل ما يعمل وما يرتكب من آثام !

وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزوّر على كتاب الله ، ويحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرضة ويكتم منه ما يشاء ، ويبدي منه ما يشاء ويكتب كلاماً من عند نفسه يذيعه في الناس باسم أنه من كتاب الله .. كل هذا ليربح ويكسب ويحتفظ بالرياسة والقيادة .

هذه هي الآيات التي تحدثت عن كلمة (أمي وأميين) ، ثم رأيناها من ظلال القرآن.وقد فسرها أئمة اللغة العارفون بها بمعنى عدم القراءة والكتابة . وكان الواحد الى ذلك عالماً بالقرآن ومفسّراً له . فمن ذلك قول(1) محمد بن جرير الطبري :

« إن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب الى أمه ،

(1) تفسير الطبري : ج ١ ، ص ٢٩٦ . طبعة بولاق .

لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء . فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه ، كما ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » .

والطبري عالم ضليع في اللغة العربية ، كما أن تفسيره من أقوم التفاسير والحديث الذي استدل به ورد معنا أكثر من مرة في ثنايا البحث حتى الآن . يفسر النبي صلى الله عليه وسلم ذاته كلمة (أمي) .

وعند أبي حيان الأندلسي في تفسيره(٢) :

« الأمي : الذي لا يقرأ في كتاب ولا يكتب ، نسب الى الأم لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن ويقرأن في كتاب . أو لأنه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها ، أو نسب الى الأمة ، وهي الخلقة ، أو الى الأمة إذ هي ساذجة قبل أن تعرف المعارف .

---

(٢) البحر المحيط : ج ١ ، ص ٢٦٩ .

وأبو حيان أيضاً من علماء اللغة الكبار بل من أعلم علماء عصره •

وما لأقلامنا شطت بها العير عن المزار ، وهذا كتاب الله يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أمي في سورة الأعراف ــ وقد مرّت بنا ثم يفسر هذا الوصف في سورة العنكبوت ــ وهي مكية ــ عدا الآيات من (١ــ١١) منها فيقول : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون » •

إن سياق النص مثل الآية يتحدث عن إيمان بعض أهل الكتاب بالقرآن على حين يكفر به المشركون الذين أنزل الله الكتاب على نبيهم،غير مقدرين لهذه المنّة الضخمةولا مكتفين بهذا الفضل المتمثل في تنزيل الكتاب على رسول منهم يخاطبهم به ولم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخطه بيمينه ، فتكون هناك شبهة أدنى شبهة في أنه من عمله وتأليفه[1] ••• » •

وخلاصة ما نستنتجه من معان لكلمة (أمي) في القرآن الكريم تصنف كما يلي :

---

(١) ظلال القرآن : ج ٦ ، ص ٤١٩ •

أولا : وردت كلمة (أمي) بلفظها المفرد مرتين في القرآن الكريم وكلتاهما وصف للرسول بالأمية التي تعني عدم القراءة والكتابة وسياق النص كان يؤكد المعاني اللغوية للكلمة •

ثانياً : وردت الكلمة بصيغة الجمع (الأميون) أربع مرات في القرآن الكريم • موزعة كما يلي :

المرة الأولى : وصفاً لليهود وهي قوله تعالى : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب آلا أماني » •

والمرات الثلاث : في وصف العرب • وعلى هذا كله فكلمة أمي تأتي بمعنى :

ـ من لا يجيد القراءة والكتابة •

ـ غير اليهود من الأمم •

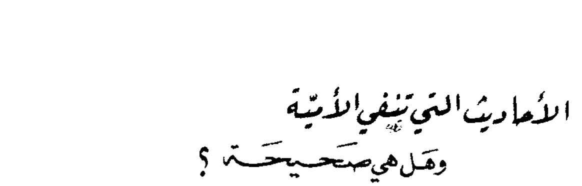
ـ الأمة قبل أن تعلم على جبلتها الأولى التي خلقت عليها •

ثالثاً : ينطبق عليها المعنى اللغوي الراجح والاصل الكلمة بمعنى عدم القراءة والكتابة . وهذا مؤيد بسياق النص أيضاً •

رابعاً : تبقى الكلمة إشارة واضحة الى المعجزة التي جـاء بها رسول الله صلى الله عليـه وسلم تدعو الناس الى الإيمان به واتباعه •

★ ★ ★




الأحاديث التي تنفي الأمّية
وهل هي صحيحة ؟



الحديث الأول :

مرّ بنا أن أبا الوليد الباجي الفقيه الأندلسي ، كان قال بتعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كان أمياً ، وذلك حين اشتهر الاسلام وعرف شأنه . وصنف في هذا كتاباً . واعتاده في هذا على الحديث الذي مرّ ذكره ، ووعدنا بالبحث عن درجته ، وهو :

روى ابن أبي شيبة وغيره : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ » .

وكنا رأينا أن محمد بن معوز أخطأ في رده على الباجي فقد كان عليه أن يبحث في صحة الحديث ، لا أن يذهب الى تعليله . والحديث موضوع(١) . رواه أبو العباس الأصم

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الدين الألباني . ج ٤ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ . المكتب الاسلامي ـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

في حديثه ، والطبراني من طريق أبي عقيل الثقفي عن مجاهد، حدثني عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه قال ... فذكره . قال الطبراني :

« هذا حديث منكر ، وأبو عقيل ضعيف الحديث ، وهذا معارض لكتاب الله عزّ وجل » نقله السيوطي في (ذيل الموضوعات ص ٥) .

الحديث الثاني :

احتج به بعض القائلين بإلمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة . وهو حديث جاء في صحيح البخاري (٧/٤٠٣–٤٠٩) من حديث البراء رضي الله عنه في قصة صلح الحديبية : « فلما كُتب الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا : لا نقرّ لك بهذا ، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد ابن عبد الله ، فقال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، ثم قال لعلي : امحُ « رسول الله » قال علي : والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس

يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله...).

وهذا الحديث ليس حجة إذ لا يؤخذ على ظاهره ، بل هو من باب (بني الأمير المدينة) أي أمر أن تبنى ، وهذا مشهور في كلام العرب ومعروف[1] .

وبعضهم يحتج بصيغة أخرى وردت للحديث جاء فيها[2] « نبينا رسول الله . يكتب الكتاب هو وسهيل » .

ويحتجون بأحاديث أخرى ، وهي : ــ وقد ذكرت ــ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما اشتد وجعه قال: « ائتوني بالدواة والكتب أكتب لكم كتاباً لاتقبلون معه بعدي أبداً ».

ويمثل بعضهم بحديث أبي بكر « أنه صلى الله عليه وسلم دعا في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم الخليفة بعده » ولربما قال بعد ما مثّل ، هذه أدلة صريحة على معرفته

---

(١) انظر التلخيص في علوم البلاغة ص ٤٥ ــ ٤٧ ط٢ شرح البرقوقي ١٩٣٢ .

(٢) سيرة ابن هشام . وسهيل هو : سهيل بن عمرو مندوب قريش .

بالقراءة والكتابة صلى الله عليه وسلم وردنا على هذه الأحاديث أدناه :

ـ الحق أن المشهور المعروف في صلح الحديبية أن الكاتب هو علي بن أبي طالب . وفي حياة الصحابة مايثبت أنه لم يكتب عليه الصلاة والسلام ففيه « قال الزهري : .. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب ... » وذلك بعد اعتراض سهيل بن عمرو .

ـ وأما الأحاديث الأخرى فتحمل على أنه أمر من يكتب له فكتب وعلى كل حال لا بد من ملاحظة أن كلمة كتب ، أو لأكتب التي جاءت في الحديث المنسوب لأبي بكر عن المزبر والدواة الخ . هذه الأحاديث لا تفيد أنه هو الذي كتب بنفسه ، وإنما تشير الى أنه أمر من يكتب ، وعلى هذا يحمل حديث البيهقي عن ابن اسحق قال : « بعث رسول الله عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً » .

الحديث الثالث :

ذهب بعضهم الى الاستشهاد بحديث واهٍ موضوع اعتبره دليلا على نعلم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن أبي سفيان ، وهو يكتب بين يديه :

« انصب البـاء . وفرّق السين ، ولا تعور العين ، وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم » . وأنه قال لزيد بن ثابت وهو احد كتابه : « إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه » . فإن قال قائل : هـل يُعْقل صدور هذا الوصف . وهذه التسمية للحروف ، وهـذه المصطلحات من رجل آمي لا يقرأ ولا يكتب ؟

قلنا : الرد على هذا التساؤل يأتي من عدة جوانب :

أولا : من الإقرار بفصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم وبلاغته ، وهذا معروف عنه . معهود فيه . ونتساءل : هل تعني الأمية ألا يميز المرء شكل الحرف من صوته !..

وإذا ما رجعنا الى الكتابة رأينا صحة ما نذهب إليه ،

فالكتابة « هي عبارة عن تحويل الرموز المسموعة في الأذن الى رموز مرئية في العين »(١) .

فالرسول الأمي صلى الله عليه وسلم أدرك وهو الكيّس الفطن أن هذا السين حين يمدّ في الأذن ، يجب أن يمدّ في الرسم أيضاً ، للترابط بين المسموع والمرئي في الحسيّات ، من هنا كان لا بد للفصيح التام الأوصاف أن يظهر حرصه على سلامة الحرف في الرؤية .

ثانياً :

من البدهي القول بأنه لو كان عارفاً بالقراء أو الكتابة لما كلّف نفسه مشقة الحرص والقول ، ولكان كتب بيده فعلّمهم ، كما كان يعلمهم أمور دينهم ، ولكنه كان لا يقرأ ولا يكتب ، وهو تحت عامل نفساني يسعى به الى تجويد رسائله فيطلب منهم أن يجملوا الرسم .

نلاحظ في الحديثين السابقين تركيزاً على تحسين

---

(١) اللسان ولانسان : د. حسن ظاظا . ص ١٣٨ . دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

الحروف . وليس في هذا غريب لمن كان يريد مراسلة الأمراء والملوك . فالرسالة تذهب الى عظيم القوم . فكان لا بـــد من تجويدها .

كل هذا في حال ثبوت صحة مثل هذه الأحاديث . والحقيقة العلمية بما عندنا من مستندات تثبت بطلان هذه الدعوى بضعف الحديث الذي يلغيه آخره ، وقد جاء فيه « قال القاضي : هذا وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلم يبعد أن يرزق علم هـــذا ، ويمنح القراءة والكتابة » .

ثم يأتي بعده تعقيب في المصدر(١) ذاته : « قلت : هذا هو الصحيح في الباب أنه ما كتب ولا حرفاً واحداً » .

الحديث الرابع :

قد يقول قائل ويحتج محتج أن النبي صلى الله عليه

(١) انظـــر تفصيله في تاريـــخ العرب المفصل قبل الاسلام . د. جواد علي . ص ١٠٠ ، ج ٨ . والكـــلام عن الجامـــع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٥١ .

وسلم حين ذكر الدجال ، تهجى فقال : مكتوب بين عينيه (ك ا ف ر) ، وقلتم إن المعجزة قائمة في كونه أمياً ، فكيف هجى ؟

قلنا : جواب هذا : ما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ، والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً ففي حديث حذيفة رضي الله عنه : يقرأه كل مؤمن كاتب ، وغير كاتب » .

فقد نص في ذلك على غير الكاتب ممن يكون أمياً ، وهذا أوضح ما يكون جلياً .

الحديث الخامس :

الحديث الذي يروى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأنه سأل الرسول : يا رسول الله أي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ــ ب ــ ت ــ ث ــ ج الى آخره ، قلت : يا رسول الله كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين . فغضب رسول الله حتى احمرت عيناه ثم قال :

يا أبا ذر والذي بعثني بالحق نبياً ، ما أنزل الله على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله فيها ألف ولام ، فقال : عليه السلام (لام ألف) حرف واحد أنزله على آدم في صحيفة واحدة » .

فإن قال قائل ما تقول بهذا الحديث ؟

قلنا : وهل يفهم من هذا الحديث أنه قارىء كاتب من خلال معرفته لعددها ؟ ! .. وهذا في حال صحته وهو غير ذلك .

فهذه الأحاديث التي مرّت بنا ، غير موجودة في الصحاح (١) السنة وأصلها غير معلوم ولا معروف ، ومثلها حديث منكر جاء بصيغة الحكواتية (قال الراوي : يا بن رسول الله لم تسمّي النبي الأمي ؟ فقال : ما يقول الناس ؟ قلت يزعمون أنه إنما سمي الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب.

فقال : كذبوا عليهم لعنة الله : أنّى ذلك ؟!.. والله

---

(١) عدا حديث صلح الحديبية ، وقد مرّ تحليله .

يقول في محكم كتابه : « هو الذي أرسل في الأميين(الآية)»
فكيف كان يعلمهم مالا يحسن • والله لقد كان رسول الله
يقرأ ويكتب وسمّي الأمي ، لأنه كان من أهل مكة) •

هــذه الاحاديث لا أصل لها ، وغــير موجودة في
الصحاح كما ذكرنا مما يؤكد أنها موضوعة ، أو ضعيفة
وقد ذكرها صاحب كتاب (مكاتيب الرسول) علي بن حسين
علي الأحمدي• وجاءت في كتاب الدكتور جواد علي المفصل
في تاريخ العرب قبل الاسلام دون توثيق ، وقد علق عليها
بأن المعروف المشهور عنه صلى الله عليه وسلم والصحيح في
هذا الباب أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب • وهذان المذكوران
ليسا من علماء الحديث •

ومع ذلك فليس فيها مايدل على أنه صلى الله عليه وسلم
كان متعلماً إلا حديث (قال الراوي) الذي جاء في العلل .
قلت : وليس يحسن أن ندع الصحاح لنركض خلف العلل ،
والحديث يعارض آيات الله الصريحــة التي أقرّت بأمية
الرسول صلى الله عليه وسلم . كما أقرتها الصحاح ، وقــد
جاء فيها ما يبطل حديث (قال الراوي) وينسفه نسفاً •

جاء في جامع الأصول(١) : « أول ما بُدِىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح • ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ، ويتزود لذلك • ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها • حتى جاءه الحق، وفي رواية : حتى فَجَأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : قلت : ما أنا بقارىء •

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد• ثم أرسلني، فقال : اقرأ • فقلت : ما أنا بقارىء • قال : فأخذني فغطني الثالثة • حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ : فقلت : ما أنا بقارىء(١) ••• » •

وهكذا بصريح وفصيح العبارة لمن يعلم (محل ما النافية) بالعربية ولمن وقف عند تكرار (ما أنا بقارىء) ثلاث مرات •

---

(١) ج ١١ ، ص ٧٥ • تحقيق الأرناؤوط • دمشق ١٩٧٣ م •
(١) اطلب بقية الحديث إن أردته ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ في المصدر السابق •

وأما الجواب عن حديث أبي ذر الغفاري الذي ينسبه اليه ، فنصدره بسؤال عمّا يمنع معرفة الحروف وعددها ؟ أليست تشكل في مجموعها أصوات المفردات اللغوية ، وأليس صوت الحرف دالاً عليه ؟ • وإنْ من عربي إلا ويعرف صوت الحرف فكيف بسيد البلغاء والفصحاء صلى الله عليه وسلم •

وكرد علمي أكثر ومقنع تماماً لا بد من السير وراء الحديث ••والحديث أخذه بعض المغرضين عن كتاب الدكتور جواد علي المذكور اجتزأه وأخذ ما أراد أن يبني عليه حكماً بطريقة بعيدة عن العلمية والموضوعية ، دون أن يكمله ويذكر بقيته التي تنسف أوله وتشير الى عدم صحته وهي « ••• ومن لم يعدْ (لام ألف) فهو بريء مني وأنا بريء منه !••• ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرونَ حرفاً لا يخرج من النار أبداً » • وبعده تعليق جاء فيه : « وبعد فهل نقبل بحديث من هذا النوع وكل ما فيه يطعن في صحته »[1] •

---

(١) المفصل في تاريخ العرب •• جواد علي : ج ٨ ، ص ١٠٣ •

ومن جهة أخرى فإن اللغويين كانوا اختلفوا في عدد حروف العربية . فبعضهم اعتبرها ثمانية وعشرين ولم يعتبر الهمـــزة • ولو جاء حديث صحيح في عدد حروف العربية لاعتبرها النحاة واللغويون وقفاً ولما اختلفوا في عددها •

من هنا نشتم رائحة الوضع في الحديث وأنه عـــلى ما يظهرمن وضع أصحاب الرأي الأول وضعوه ليسندوا رأيهم في عدد حروف العربية •

نخلص من هذه الأحاديث بعد أن تبين عدم صحتها الى الحديث عن مشكــــلة (كتب رسول الله) أو (فكتب رسول الله) التي حملناها على باب (بنى الأمير المدينة) •

هناك أحاديث كثيرة فيها ذكر (كتب رسول الله) منها :

ــ ما رواه الشعبي عن عامر بن شهر ، قال : أسلم عل ذو خيوان فقيل لعل : انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ منه الأمان على من قبلك ، ومالك وكانت له قرية بها رقيق ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن مالك بن مرارة الرهاوي قدم علينا يدعو الى

الاسلام فأسلمنا ، ولي أرض رقيق . فاكتب لي كتاباً . فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله لعل ذي خيوان ، إن كان صادقاً في أرضه وماله ورقيقه ، فله الأمان وذمة محمد صلى الله عليه وسلم . وكتب له مالك بن سعيد قال عبد الله وهم والصواب خالد(١) . أي كتب له خالد بن سعيد بدلا من قوله : وكتب له مالك بن سعيد .

نلاحظ هنا ما جاء في الحديث فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذيل الحديث ، وكتب له مالك بن سعيد أو خالد عل ذي خيوان كما رأينا . ومثل هذا كثير ، تجده في الطبقات الكبرى لابن سعد في المجلد الأول منه وقد أحصيت أكثر من خمس وثلاثين رسالة أسفل منهـا وكتب له فلان .

والشاهد في هذه الأحاديث كلها أنها ــ كما ورد ــ تحمل على باب بنى الأمير المدينة .

---

(١) أسد الغابة : ج ٢، ص ١٧٣ . طبعة كتاب الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ .

وهناك حديث آخر مفاده أن جميل بن ردام العذري أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم الرمداء ، روى عمرو بن حزام قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لجميل بن ردام العذري « هذا ما أعطى محمد رسول الله جميل بن ردام ، أعطاه الرمداء لا يحاقه فيه أحد » . وكتب علي بن أبي طالب(١) .

ونلاحظ هنا ما لاحظناه في الحديث السابق « وكتب علي بن أبي طالب » يعني اسم الكاتب .

وهناك حديث آخر : روى أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم عن أبيه عن جده عمرو بن حزم : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لحصين بن نضلة الأسدي كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لحصين بن نضلة الأسدي أن له ثرمداً(٢) وعنيفاً لا يحاقه فيها أحد . وكتب المغيرة(٣) .

---

(١) المصدر السابق : ج ١ ص ٣٥٠ .

(٢) اسم واد شعيب : بأجا .

(٣) اسد الغابة : ج٢ ، ص ٢٩ .

وآخر ما نختتم به هذا القسم حديث ابن ماكولا .
فقد ذكر ابن ماكولا أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى أنه قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فأسلمنا وسألناه أن يكتب لنا كتاباً فيه شروط ، فقال:

« اكتبوا ما بدا لكم ثم ائتوني به فسألناه في كتابه أن يحلّ لنا الربا ، والزنا فأبى عليّ رضي الله عنه أن يكتب لنا ، فسألناه خالد بن سعيد بن العاص فقال له علي : أتدري ما تكتب ؟ قال : اكتب ما قالوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بأمره فذهبنا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقارىء اقرأ ، فلما انتهى الى الربا قال : ضع يدي عليها في الكتاب فوضع يده ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » .

ثم محاها ، وألقيت علينا السكينة فما راجعناه ، فلما بلغ الزنا وضع يده عليها وقال : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة » الآية ثم محاه ، وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا »(١) .

---

(١) أسد الغابة : ج ١ ، ص ٢٥٧ .

وهكذا يكون قد تبين لنا في اللغة وفي الحديث بعد القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، بلا ريبة ولا أدنى شك • وبالدليل القاطع والبرهان الساطع المتمثل بالأدلة العلمية، والعقلية ، والنقلية. ولهذا حكمة يريدها الله ، وغاية يهدف اليها سبحانه •

وقد ثبت بالتواتر الذي ينال درجة القطعية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً بمعنى أنه لا يعرف القرءة ولا الكتابة ، وقد صرف عنها ، وأن هذا كان لإرادة الله أولاً ، ولأسباب اجتماعية« محليّة » « وضعيّة » ثانياً • وقد كانت أميته صلى الله عليه وسلم دليل إعجاز عظيم لأنه وهو أمي أتى بأمر تعجز عنه البشرية •

ولا قول أتى بالقرآن ، فالقرآن من تنزيل رب محمد على محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن هـذا القرآن كان معجزاً ، ومدلاً على أن محمداً لا يستطيع مهما أوتي من قوة العلم ومن قدرة على الكتابة أو القراءة أن يأتي بالقرآن من عند نفسه ، فكيف وهو أمي لا يقرأ أو لا يكتب فتبين بهذا مصدره السماوي الجليل •

فكان يتلوه على الناس ، ويعاود تلاوته عليهم . لا يتغير منه حرف ولا تختلف فيه كلمة . (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

ولمن أراد أن يعرف كتاب الوحي الذين كتبوا القرآن وكتبوا للرسول صلى الله عليه وسلم كتبه ، ومعاهداته ، وكل ما أمر به عليه أن يعود الى المجلد الأول من الطبقات الكبرى لابن سعد فيجد أسماء من كتبوا للرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي الطبري[1] أيضاً ثبت لبعض من كتب للرسول صلى الله عليه وسلم نذيله فيما يلي :

ذكر أن عثمان بن عفّان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً علي بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء الحضرمي .

(١) تاريخ الطبري ج ٣/ص ١٧٣ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .

قيل : أول من كتب له أبي بن كعب . وكان إذا غاب أبي كتب له زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتد عن الاسلام ثم راجع الاسلام يوم فتح مكة ، وكتب له معاوية ابن أبي سفيان ، وحنظلة الأسيدي .

وغيرهم كذلك . ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكتب حرفاً واحداً لعدم معرفته بالقراءة والكتابة . والى جانب هذا فقد كان فصيحاً بليغاً موجزاً في عبارته ، معجزاً في مجاراته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

★ ★ ★



حكمة أُميّة

صلى الله عليه وسلم ..



إذا كان لكل مقام مقال ، فإن لكل عصر ما يلائمه ويناسبه ويعجب أهله ويعجزهم •

وتحت رعاية الله كان ظهور موسى عليه الصلاة والسلام في عصر انتشر فيه السحر ، وكثرت فيه أعمال السحرة وشعوذتهم ، التي كانوا يقومون بها ، فيسيطرون من خلالها على الناس • وكان فرعون يعتبرها القوة الخارقة ، توازي عنده جيوشه الجرارة ، ويعتمد عليها في تثبيت ملكه •

من هنا أرسل الله نبيه موسى عليه السلام وأيده بمعجزة من جنس ما شُهر في المجتمع المصري وعرف ، فكانت معجزته عصا تأكل ما يأفكون إذ تصير حية تسعى •

وهو في واقع الحال ليس بساحر ولكنه نبي مرسل من جنس ما شُهر في المجتمع المصري وعرف ، فكانت وقضى عليه وهو سحر مديد في الأرض ، فأيقن السحرة ، وهم أصحاب المهنة أن هذا ليس من صنع بشر ، ولا من

سحر تعلموه ، وهو فوق قدرة السحرة . فآمنوا برب موسى عليه السلام ، ولم يلتفتوا الى إنذار فرعون وتهديده لهم بالقتل مرة ، وبالصلب والنفي مرة أخرى •

ولا غرابة في هذا فقد آمنوا بالله . ومن يؤمن به تعالى، يدفع ثمن هذا الايمان ، وهو راض ، غير آبه للطغيان مهما كان مده ، وطالت قوته •

وحين أرسل الله عز وجـل سيدنا عيسى عليه السلام كانت الحضارة الرومانية ، قد قطعت شوطاً في علم الطب ، والكيمياء ــ لعصرها ــ فأيد الله نبيه بمعجزات عظيمة تفوق كل ما عرفه الطب منذ أن بدأ شوط الحضارة الانسانية الى يومنا هذا ، فكان يضع من الطير كهيئة الطين ثم ينفخ فيه ، فيطير بإذن الله . ويشفي الأبرص . والأصم وغير هذا ، وكله مقيد بإرادة الله الحكيم • فأخرس الطب والأطباء ، وآمن الناس أن هذا الذي جاء النبي ليس إلا من الله •

ثم بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وليس للعرب من حضارة ، ولم يكن السحر في عصره ذا صولة وصولجان،

كذلك لم يكن للعـــرب من علم في صناعـــة الطب . سوى ما عرف من طب العرب البسيط ، وكل ما كان للعرب ، لغة اكتملت ونضجت وصلت الى أعلى مراتب الرقي اللغوي ، حين عرفت ضروباً مختلفة من البيان الفصيح ، والإعجاز والصور اللفظية العجيبة ، وكانت أسواق العرب في عكاظ ، وذي المجاز ، وذي المجن مجالاً واسعاً ، وميداناً فسيحاً لصولة اللغة في ثوب الخطب العظيمة وإطار الشعر الفصيح الذي يأخـــذ أطراف العقول لما فيه من بيان معجز جعـــل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

« إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة » .

كان للشعر نفوذ كبير في حياة العرب .

يذكر مؤرخو الأدب أن الفرزدق الشاعر الأموي كان سمع قول لبيد بن ربيعة العامري في معلقته ، وهو قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنه

زبرٌ تجدُّ متونها أقلامُها

يسجد، فقيل له : ما هذا يا أبا غالب ؟!••• قال : أنتم تعرفون سجدة القرآن ، وأنا أعرف سجدة الشعر ، أراد إن هذا الشعر ذو تأثير عظيم وكبير في نفس السامع ، وهو الفرزدق ثالث ثلاثة كبار من شعراء العرب •

في هذه الجواء اللغوية الرفيعة ، التي سيطرت علـى المجتمع بنفوذها وسلطانها ، ظهر النبي الأمي صلى الله عليه وسلم وعاش في مكة وفي المدينة وسط أمة عرفت بالبلاغة والفصاحة ، وكثر فيهـا الشعراء وازدهرت فيها الخطابة ، وتنوعت ضروب اللغة • فكانت المعجزة التي أيده الله بها من جنس المادة التي سيطرت على نفوس الناس وعقولهم •

أنزل الله على نبيه القرآن الكريم ، وهو نبي أمي لايقرأ ولا يكتب ، فسمعه كل من قرأ وكتب ، ومن قال الشعر من أصحاب المعلقـات أو غـيرهم ممن شهر وعرف في الشعر والفصاحة والبلاغة فأطرق وأدرك أن هذا الكلام ليس من صنع البشر وليس بمقدور أحد أن يأتي بمثله مهما أوتي من قوة الكلم •

وقد دارت افتراضات عدة من مشركي العرب حول هذا الذي جاء به الرسول . أنزل عليه من السماء ؟

افترضوا أن يكون أحد من الناس علم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وضاع صوابهم ، فقالوا : لقد علمه غلام رومي أعجمي يشتغل في مكة (قيناً) يعني حداداً ، فرد عليهم القرآن الكريم ، ففند أقوالهم حين نزلت الآية الكريمة . تقول :

« لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » .

وحين أسقط في أيديهم . قالوا : « أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه » .

وذهب ملاحدة المثقفين مذهباً آخر ، فقالوا : إن بحيرا الراهب هو الذي أملاه عليه . وقد كان الرسول طفلاً في طريقه الى الشام برعاية عمه أبي طالب ، ورآه بحيرا لمدة لا تتجاوز استراحة المسافر . فهل رأيتم ذكاء الملاحدة ؟!..

وحين فشلوا ثانية قالوا : علّمه ورقه بن نوفل • فجاء القرآن العظيم يضرب أقوالهم عرض الحائط . ويسفّه أحلامهم بتحديه لهم ، ولو اجتمعوا جميعاً •

تحداهم أن يأتوا بمثله ، وتساهل معهم لعلمه بعجزهم، فتحداهم بعشر سور مثله ولو كانت مفتريات ، فعجزوا عنها فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ، فقال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ــ ولن تفعلوا ــ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » •

عجزوا تماماً وفشلوا جميعاً : خطباؤهم ، وشعراؤهم ، وهم أمة البيان والفصاحة ، وأصحاب المهنة • وحين تم عجزهم أعلن القرآن الكريم حقيقته النهائية في ثقة ويقين ، فقال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » •

وهكذا كانت إرادة الله أن يزوّد كل نبي يرسله بمعجزة

من جنس ما انتشر في عصره . وعرف ، نزود موسى عليه السلام بمعجزة العصا التي تأكل ما يأفكون ، ولم يعلمه السحر ، بل كان أبعد الناس عنه ، ورباه في حجر فرعون وعلى عينيه ليعلم أن ما جاء به موسى لم يكن سحرا ، فقد نشأ أمامه وعلى يديه . فأين تعلم السحر ؟

وزوّد عيسى عليه السلام بمعجزة الطب ، ولم يكن طبيباً ، ولا تعلم هذه الصنعة .

وكانت إرادة الله أن جعل القرآن الكريم معجزة آخر رسول يرسله لعباده . فجعله أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، حتى إذا جاءهم بالقرآن أذهلوا ، وعلموا أن ما يقوله ليس من كلام البشر .

كان الوليد بن المغيرة — وهو عمّ أبي جهل — في السنين الأولى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم سمع القرآن من رسول الله ، فقال لقومه بني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه

لمثمر، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى • فقالت قريش: صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل :

« أنا أكفيكموه » فتوجه وقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه . فقام فأتاهم فقال :

تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوّس ؟

وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن ؟

وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟

وتزعمون أنه كذاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟

فقالوا كل ذلك : اللهم لا •

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً ــ كما رأينا ــ فهل يعني هذا أنه يجب ألا يكون فصيحاً ؟ وجواب هذا لا بحقيقة الحال ، فالرسول صلى الله عليه وسلم بليغ فصيح وما دام يملك المعاني الجميلة العظيمة على فصاحته بإمكانه وله أن يكون عظيماً في بيانه وقوله سواء كان أمياً أم متعلماً. فالمعاني التي تدور حول المسميات والأشياء يملكها الأمي

والمتعلم . ولربما تحدث عنها الأمي فأجاد وأحسن وتكلم بها المتعلم فتعثر ولم يحسن .

ولا نرى أن حكمة كونه أمياً أن يأتي بالإعجاز فقط . بل إن الله هيأ له ظروفاً تاريخية واجتماعية وطبيعية مرّ بها صلى الله عليه وسلم جعلته لشيء أراده الله أمياً . وكما أنه لم يعلم موسى عليه السلام السحر وجعله يغلب السحرة . ولم يجعل عيسى عليه السلام طبيباً . وجعله يغلب الأطباء . كذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أمياً . يتحدى كل متعلم أن يأتي بما جاء . ليعلم الناس أن ما جاء به من عند الله وأنه ما دام عجز عنه المتعلمون فكيف يأتي به هذا الرسول وهو أمي !..

قلت ــ والله أعلم ــ : أنه صلى الله عليه وسلم لو كان متعلماً أيضاً لبقي القرآن معجزة عظيمة كذلك ، فالقرآن لا دخل للرسول صلى الله عليه وسلم فيه من باب القول . وإنْ هو إلا من رب العالمين . وما الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ناقل أمين عن الوحي . وإنما فصاحته وبلاغته صلى الله عليه وسلم تظهر في الحديث . وشتان بين حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم وبين القرآن المنزل من قبل الله .
وإن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كما قال الجاحظ ـ:
« هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجلّ
عن الصنعة . ونُزّه عن التكلف ... استعمل المبسوط في
موضع البسيط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب
الوحشي . ورَغِبَ عن الهجين السّوقي ، فلم ينطق عن
ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة وشدّ
بالتأييد . ويُسّر بالتوفيق ... ثم لم يسمع الناس بكلام
قط أعم نفعاً ولا صدق لفظاً ، ولا أعدل رزناً ، ولا أجمل
مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل
مخرجاً ، ولا أفصح من معناه ، ولا أبين من فحواه من كلامه
صلى الله عليه وسلم » .

وقد خُصّ الرسول صلى الله عليه وسلم بأمور كثيرة
من قبل الله ، وعلى رأسها أنه كان أمياً ، وجاء بأمور عجيبة
يعجز عنها المتعلمون ، وفيه صلى الله عليه وسلم قال الرافعي
رحمه الله :

« كان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لساناً، وأعلمهم

بأوضاع اللغة ، كأنها تكاشفه بأسرارها وتبادره بحقائقها ، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم ، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً وأسدّهم لفظاً ، وأبينهم عبارة ، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب ، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم •

ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب حياً بعد حي ، وقبيلاً بعد قبيل ، حتى يَفْلي لغاتهم ، ويتتبع مناطقهم ، مستفرغاً في ذلك متوفّراً عليه ، وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتهيأ له شيء مما وصفنا ، ولا تهيأ لأحد من سائر قومه على ذلك الوجه ، علماً ليس بالظن ، ويقيناً لا مساغ للشبهة فيه ، •• فليس إلا أن يكون ما خُصّ به النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قد كان توقيفاً وإلهاماً من الله » •

قلت : ولو قدّر الله أن يؤجل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر انتشار العلم ، أو أرسله في قوم متعلمين ، وتعلّم أيضا . لما زاد في رسالته حرفاً على ما هي عليه اليوم •

وكل هذا توفيقي ، وكل تأديبه صلى الله عليه وسلم كان برعاية الله .

حدّث أبو بكر رضي الله عنه فقال للرسول مرة : لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك: فمـــن أدبك (أي علمك) ؟ قال : « أدبـــني ربي فأحسن تأديبي » .

وقد سأله علي رضي الله عنه قال : وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره !... فقال عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

قلت أيضاً : وعلي رضي الله عنه متعلم يقرأ ويكتب ، ويعجز عما يقولـــه رسول الله ، وهو عـــلى ما هو عليه من فصاحة رضي الله عنه . ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم لقال له : لقد تعلمنا سوية بدلاً من قوله : نحن بنو أب واحد . خصوصاً وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تربى في بيت عمه أبي طالب ، مع فارق السنّ بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين علي رضي الله عنه .

لذا قلنا : إنه توفيقي وإلهام من الله سبحانه وتعالى الذي كان صرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكتابة والقراءة الى شيء أعظم وأكبر وأزكى . إنها النبوة . ولكن يجب أن نضع في حسباننا أنه رسول من قبل الله أمياً كان أم متعلماً ، ولو كان متعلماً ما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره صلى الله عليه وسلم . وقد جاء هذا قديماً على لسان الجاحظ حين قال في البيان والتبيين(١) :

« كان شيخ من البصريين يقول : إن الله إنما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ، ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يعتمد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب : من قيافة الأثر والبشر ، ومن العلم بالأنواء وبالخيل ، وبالانساب ، وبالاخبار ، وتكلّف قول الاشعار ، ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتكلّم بالكلام العجيب ، كان ذلك أدلّ على أنه من الله .

وزعم أن الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم

---

(١) ج ٤ ، ص ٣٢ الطبعة الثالثة ١٩١٨ م

وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب الناسب ، ولكن ليجعله نبياً وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأغنى ، فإنما نَقَصَه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القليل ليجلّى له الكثير •

ويرى الجاحظ أن هذا الشيخ أخطأ ولم يرد إلا الخير، وقال قولاً آخر . قال بقول الشيخ أولا ، ثم أضاف إليه فكرة جميلة مفادها : أنه يجب الإيمان بما جاء به رسول الله، وأنه من عند الله سواء أكان أمياً أم متعلماً ، فيقول :

وقد أخطأ هذ الشيخ ولم يرد إلا الخير ، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه • ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة ، وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب ، قد كانت فيه تامة رامزة مجتمعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة الى ما هو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج الى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، وإذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ولو كان في ظاهره ، والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ،

ومتفرّس قائف ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة ، وعلامات النبوة ـ ما كان ذلك بمانـع من وجوب تصديقـه ولزوم طاعته والانقياد لأمره ، على سخطهم ورضاهم ومكروههم ومحبوبهم . ولكنه أراد ألا يكون للشاغب متعلق عمّا دعا اليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب ، وإن رقّ ، وليكون ذلك أخفّ في المؤونة ، وأسهل في المحنة ، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانه لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة .. فأما في غير ذلك فانه إذا شاء كان أنطق من منطق ، وأنسب من كـل ناسب ، وأقوف من كل قائف . وكانت آلته أوفر ، وأداته أكمل ، إلا أنها كانت مصروفة الى ما هو أردّ » .

وهكذا فالجاحظ يرى أنه حتى لو كان تعاطى العلوم والتعليم لوجب تصديقه ، لأن ما جاء به معجز للبشر كافة .

وخلاصة القول في حكمـة أمية الرسول صـلى الله عليه وسلم :

أن الله بعثه أمياً . وأعطاه ما يعجز عنه كل متعلم . فهو الإعجاز للإيمان .

ونحن كمؤمنين به صلى الله عليه وسلم يجب ألا نضع نصب مخيلتنا أننا آمنا به لأنه أمي جاء بما يعجز فقط ، بل لأنه أولاً وأخيراً رسول من قبل الله سبحانه وتعالى ، ولو أننا نعتبر وضعه كأمي يأتي بما يبهر العقول ويدهش الفحول من المتعلمين ، معجزة له ومكرمة من قبل الله .

ودفاعاً عن الحق ، ودفعاً للباطل ، حاولنا أن نلمّ بتقديم ما أجمعت عليه الأمة من أمية الرسول صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والتعريف اللغوي السليم ، ونرجو الله أن نكون قد وفّقنا في دفع الأباطيل ، كما نرجوه تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ويجعلها مما ينتفع به بعد موتنا والحمد لله أولاً وآخراً .

الرقة ٩ رمضان المبارك ١٣٩٨ هـ

١٣/٨/١٩٧٨ م

فهرس

تطلب الكتب التالية

من دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ص.ب ١٣٥٣٣٧

حلب ص٠ب : ١٨٩٣

- **صدر تحت عنوان سلسلة بحوث اسلامية هامة :**

١ ــ الى كل أب غيور يؤمن بالله **عبد الله علوان**

٢ ــ فضائل رمضان وأحكامه **عبد الله علوان**

٣ ــ حكم الاسلام في التأمين (السوكرة)

عبد الله علوان

٤ ــ محمد في الكتب المقدسة **د. محمد رواس قلعهجي**

٥ ــ حكم الزكاة في الاسلام **عبد الله علوان**

٦ ــ حكم الإسلام في وسائل الإعلام **عبد الله علوان**

٧ ــ شبهات وردود حول العقيدة وأصل الانسان

عبد الله علوان

٨ ــ عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الاسلام
عبد الله علوان

٩ ــ ماذا حول أمية الرسول صلى الله عليه وسلم •
علي شواخ إسحق

١٠ـ تحت الطبع ــ إن شاء الله ــ :
آداب الزفاف وحقوق الزوجية في الاسلام
عبد الله علوان

- **وصدر تحت عنوان : روايات اسلامية**

١ ــ كانوا همجاً **عبد الودود يوسف**

٢ ــ ثورة النساء **عبد الودود يوسف**

- الاسلام أربعة أجزاء **سعيد حوى**
- تربية الاولاد في الاسلام
في ثلاثة أجزاء من القطع الوسط **عبد الله علوان**
- حتى يعلم الشباب **عبد الله علوان**
- دعاة لا قضاة **حسن الهضيبي**

- ماذا ضر العالم بانحطاط المسلمين **ابو الحسن الندوي**
- الأعمال الشعرية الكاملة **محمد منلا غزيل**
- محمد منلا غزيل في ظلال الدعوة **عبد الله الطنطاوي**
- أسرار الانقلاب العثماني **مصطفى طوران**
- يهود الدونمة **مصطفى طوران**
- دراسة في أدب باكثير **عبد الله الطنطاوي**
- من وحي المكتبة **د. محمد رواس قلعه‌جي**
- ولهان والمتفرسون **ابراهيم عاصي**
- قادة الغرب يقولون **جلال العالم**
- الكبائر طبعة جديدة

تمتاز بالتحقيق وتخريج الأحاديث **تاليف**
الامام الذهبي
مع شرح غريب الألفاظ
مع مقدمة وافية **تحقيق**
عبد الرحمن فاخوري

تحت الطبع :

قصة الهداية **عبد الله علوان**

موسوعة فقه عمر رضي الله عنه
د. محمد رواس قلعه‌جي

التفسير السياسي للسيرة
د. محمد رواس قلعه‌جي

وتحت عنوان أعلامنا :

١ ــ الامام مسلم : حياته ، صحيحه **محمود فاخوري**

٢ ــ أبو محجن الثقفي حياته ، شعره **محمود فاخوري**

كتب توزعها الدار :

غياث يصلي **نديم الشهابي**

تحت ظلال الوحي **محمد المعلم**